# حاجي خليفة

## حياته- شخصيته- آثاره - فكره

إن لحاجي خليفة مكانة متميزة في تاريخ الفكر العثماني في القرن السابع عشر. كان حاجي خليفة من أكبر الجغرافيين والببليوجرافيين في تاريخ العلم التركي في العهد العثماني. وهو المعروف عند العثمانيين بحاجي خليفة وكاتب جلبي، وعند الغرب بحاجي كلفه.

كان حاجي خليفة هو السمة البارزة، والممثل الأقوى للفكر الحر، والدفاع عن العلوم العقلية في عالم المعرفة التركي في القرن السابع عشر، وقد لفت الانتباه والاهتمام الكبير عندنا، وفي أوروبا بأعماله الكثيرة.

عاش في عهد السلطان مصطفى الثاني والسلطان مراد الرابع، وعايش أزمات الدولة، واشترك في حملات شرق الأناضول، ولم يتمكن من الاشتراك في حملة بغداد بسبب مرضه. بعد ذلك شغل نفسه تمامًا بالعلم.

### حياته الأولى:

لقد استطعنا أن نُكوّن فكرة عن حياة حاجي خليفة من خلال المعلومات التي أوردها في كتابه "سلم الوصول إلى طبقات الفحول"[1]، وكتابه "ميزان الحق في اختيار الأحق"[2]، وبخلاف المعلومات الواردة في الكتابين المذكورين، أورد حاجي خليفة بعض المعلومات القليلة عن حياته في مؤلفاته الأخرى، وسنجد في النهاية معلومات مطمئنة عن حياته.

اسمه الأصلي مصطفى، ووالده عبد الله. لم يلجأ حاجي خليفة إلى العنعنة في ذكر نسبه، بل اكتفى بذكر اسم والده فقط، وقد اشتُهر بين العلماء باسم حاجي خليفة، أما بين أهل الديوان اشتهر بكاتب جلبي.

---

(1) انظر: مكتبة شهيد علي باشا، استانبول، رقم 1877، ص 271

(2) انظر: منشورات أبو الضيا، استانبول 1306، ص 129

وعلى حسب ما ذكرته والدته، فقد ولد في استانبول في شهر ذي القعدة عام 1017هـ (فبراير 1609م). وكانت إقامته في استانبول أيضًا (القسطنطيني المولد والدار). كان والده من موظفي الأندرون، ثم خرج من القصر ليلتحق بزمرة أهل السلاح، وكان يخرج إلى الحملات بسبب تلك الوظيفة. كان رجلًا متدينًا، يداوم على مجالس العلماء والمشايخ، أما ليله فيقضيه في العبادة.

وعندما بلغ حاجي خليفة الخامسة أو السادسة من عمره، عهد به والده إلى الإمام عيسى القرمي ليعلمه القرآن والتجويد. قرأ حاجي خليفة القرآن على يد الإمام المذكور، وتعلم منه أصول التجويد من كتاب مقدمة الجزرية، كما تعلم شروط الصلاة، ثم عقد له الإمام امتحانًا في دار قراء مسيح باشا.

بعد ذلك، درس حاجي خليفة على يد زكريا علي إبراهيم أفندي، ونفس زاده[1]. ثم درس علم التصريف والعوامل على يد إلياس خوجه، كما درس علم الخط على يد الخطاط المشهور بوكرو أحمد جلبي[2]. وعندما بلغ حاجي خليفة الرابعة عشر من عمره، خصص له والده مبلغ 14 درهمًا من راتبه؛ لتكون مصاريف له، وأخذه إلى جانبه في الديوان، وبذلك أصبح حاجي خليفة مساعدًا (صبيًّا) في قلم محاسبات الأناضول، أحد أقلام الديوان. وتعلم على يد أحد الكتاب الموجودين هناك قواعد الحساب، وخط السياقت والأرقام.

## حاجي خليفة ومشاركاته في الحملات العسكرية:

وعندما خرج الجيش من استانبول؛ لإخماد ثورة محمد باشا أباظة عام 1623 – 1624م، خرج كاتب جلب مع والده في حملة ترجان؛ حيث كان في هذا التاريخ في فرقة السلاحدار، وأثناء اشتداد الحرب مع أباظة بالقرب من قيصرية وجد حاجي خليفة الفرصة سانحة له لأن يطّلع على المعركة من مكان مرتفع (22 ذو القعدة 1033هـ)، وقد شرح تلك الأحداث في كتابه فذلكه؛ حيث قال في وصفها:

(كان الفقير مستعدًّا في ذلك المكان، وكأني أرى الآن منظر الوزير الأعظم طبان ياصي

(1) انظر: فذلكه، ج 1، ص 94؛ زيل الشقائق، 458؛ مستقيم زاده، مجلة النشاب، مكتبة حالت أفندي، رقم 628، ص 426 ب

(2) انظر: أحمد أحدب، نفس المؤلف، تحفة الخطاطين، نشر أنجمن تاريخ عثماني، ص 98

محمد باشا، وهو يرتدي الطرة ذات النجمة الذهبية، وكأني أسمع صوت صليل رمحه)[1].

وفي عام 1035هـ الموافق 1625م، اشترك في حملة بغداد، وفي يوم الثاني عشر من شهر رمضان من نفس العام، شاهد المعركة من على برج مرتفع خلف فرقة السلاحدارية. وشارك في الحصار الذي استمر تسعة أشهر، وشاهد كل تفاصيل المعركة، ويروي تفاصيل عودة الجنود بعد أن فشلوا في إنهاء المعركة بسبب القحط الذي تفشى، وأن الجنود فقدوا الأمل في النصر بعد أن عانوا كثيرًا، خلال تلك الفترة يقول: (إن المشقة التي عانها جنود الإسلام في هذا الطريق لم تكن في هذا التاريخ)[2].

وأثناء عودة الجيش توفي والد حاجي خليفة في الموصل في ذي القعدة عام 1035هـ، ودُفن في الجبانة الموجودة بالقرب من الجامع الكبير. وبعدها بشهر، توفي عمه في منزل جراحلو القريب من نصيبين. لذا اتجه حاجي خليفة إلى ديار بكر مع أحد أقاربه، وأقام هناك مدة، وقام شخص يدعى محمد خليفة من أصدقاء والده بتعيينه في منصب (مقابلة الخيالة).

وفي عام 1037هـ، عاد إلى استانبول، وداوم على دروس قاضي زاده، وشارك في حصار أرضروم، ولاقى مشقة كبيرة أثناء عودته إلى طوقاد بعد هذا الحصار القاسي، الذي استمر سبعين يومًا بدون أية نتيجة، ويذكر حاجي خليفة عن هذا الحادث الأليم ما يلي: (لقد تعرض الجيش لمشقة وآلام كثيرة في تلك المحنة، التي لم يُر مثلها في التاريخ، فقد تجمدت أيدي وأرجل الكثير من الجنود، وقطعت، هذا بخلاف من توفي من شدة البرد)[3].

وفي عام 1038هـ، وفد إلى استانبول لفترة، وداوم على دروس قاضي زاده، الذي أثر كثيرًا على حاجي خليفة. ومن ثم بدأ في مذاكرة العلوم العالية، وظل حاجي خليفة يداوم على الاستماع لدروس قاضي زاده، حتى خروج خسرو باشا للحملة من جديد[4].

---

(1) في المجلد الثاني، ص 54

(2) سلم الوصول، نفس المكان

(3) فذلكه، ج2، ص 100

(4) ميزان الحق، نشر أبو الضيا، ص 130

obeikandl.com

وفي عام 1039هـ، اشترك في حملة بغداد وهمدان مع خسرو باشا، وقد شرح في كتابه جهاننما[1]. وفي كتابه فذلكه[2] ما تعرضوا له أثناء تلك الحملة، والمدن والقلاع التي فتحوها مثل قلعة كول عنبر، وبيستون، وحسن أباد، وهمدان. وعندما نزل خسرو باشا بالجيش إلى بغداد عام 1040هـ بعد حملة همدان، كان حاجي خليفة معه، وقد تناول في كتابه "فذلكه" تفاصيل حصار بغداد، الذي بدأ في 22 صفر عام 1040هـ؛ حيث يقول: (صدرت الأوامر بأن يتحصن كل فرد في الجيش خلف المتاريس، فقام كل فرد بإزالة خيمته، ووضع المتاريس بدلًا منها، وحُفرت الخنادق أمام المتاريس) [3].

## دروس قاضي زاده:

وفي عام 1041هـ، عاد حاجي خليفة مرة أخرى إلى استانبول، وداوم من جديد على دروس قاضي زاده، فقرأ عليه كتاب التفسير وإحياء علوم الدين، وشرح المواقف والدرر، والطريقة المحمدية. وعندما ذهب مع الجيش بقيادة محمد باشا الوزير الأعظم إلى حلب عام 1043هـ، ذهب حاجي خليفة من هناك - أي من حلب - إلى الحجاز. وبعد أن زار مكة، غادرها. وفي الطريق، تقابل في ديار بكر مع الجيش الذي كان يقضي الشتاء هناك، وأثناء إقامته في ديار بكر كان يتباحث ويتناقش مع العلماء الموجودين هناك. وفي عام 1044هـ، ذهب مع السلطان مراد الرابع إلى حملة روان. وقد شرح بالتفصيل ما رآه في تلك الحملة[4].

## حاجي خليفة والتفرغ للعلم:

وبعد أن أتم حاجي خليفة الحملات والغزوات، وأتم ما عليه من فريضة الحج، نوى العودة إلى استانبول؛ ليكرس حياته للعلم الشريف. واشترى بكل الأموال التي ورثها كتبًا. وبدأ في تدوين أسماء الكتب التي رآها في حوانيت الكتب عندما كان في حلب، وكان لحاجي خليفة شغفًا زائدًا بكتب التاريخ والتراجم والطبقات، فأتم قراءتها كلها في عام 1046هـ.

---

(1) نشر متفرقة، ص 300 - 302 - 303

(2) ج2، ص 118

(3) فذلكه، ج2، ص 128

(4) فذلكه/ ج2، 164

وفي عام 1047هـ، توفي أحد أقاربه الأثرياء، فورث عنه عدة أحمال من الأقجات، اشترى بثلاثة منها كتب، وبالأموال المتبقية رمَّم منزله الواقع بين جامع الفاتح وجامع السلطان سليم في الناحية اليسرى لجامع الفاتح[1].

كما تزوج في نفس العام، ولم يشترك مع السلطان مراد الرابع في حملة بغداد؛ بسبب نيته في إكمال بقية عمره في المطالعة والتأليف، واستمع لدروس مصطفى أفندي الأعرج المشهور بفضله وإحاطته[2] فاتخذه معلمًا له، وهو أيضًا أعطى لكاتب جبلي اهتمامًا أكثر من بقية تلاميذه. وقد أمره مصطفى أفندي بأن يقرأ كتب الأندلسية في العروض، وهداية الحكمة حتى الباب الرابع، وملخص الهيئة وشرحها، وأشكال التأسيس[3].

وفي عام 1049هـ، درس على يد عبد الله الكردي بآيا صوفيا. وفي عام 1050هـ، درس على يد كجي محمد أفندي في جامع السليمانية[4].

وفي عام 1052هـ، قرأ كتاب نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للعسقلاني على يد واعظ ولي أفندي. كما بدأ دروس النخبة والألفية على نفس الشيخ. وفي غضون عامين، أتم أصول الحديث[5].

كما قرأ حاجي خليفة كتاب تلخيص المفتاح على يد المولا ولي الدين مفتي أرمنآق، وكتاب الفرائض للإمام سراج الدين محمد، وكتاب الشمسية الخاص بعلم المنطق لكاتبي. كما شارك حاجي خليفة في دروس الشيخ سري الدين أبو الرضا المصري الذي وفد إلى استانبول عام 1057هـ[6].

ظل حاجي خليفة يقرأ الكتب، ويدرس طيلة عشر سنوات ليل نهار دون أن يمل أو يصيبه الكلل. وخلال تلك الفترة كان يأتيه الطلاب لينهلوا من علمه. وفي عام 1055هـ، قرأ الكتب

---

(1) انظر: كشف الظنون، نسخة مخطوطة مكتبة تقي الدين أفندي، رقم 1619

(2) انظر: فذلكه، ج2، 392

(3) (انظر جامع المتون، طوب قابي سرايي، خزينة الأمانات، رقم 1763)

(4) انظر: فذلكه، ج2، ص 238

(5) انظر: فذلكه، ج2، ص 136؛ ميزان الحق، ص 136

(6) انظر: سلم الوصول، ص 235 أ

obeikandi.com

التي تتناول علم الخرائط، وذلك بمناسبة خروج الجيش لحملة كريت في نفس العام. وفي تلك الأثناء، ساءت العلاقات بينه وبين رئيس كتّاب المقابلة؛ الأمر الذي جعله يقدم استقالته من هذه الوظيفة. بعد ذلك عاش حاجي خليفة مدة ثلاث سنوات منزويًا بعيدًا عن حياة الوظيفة. ومرض في تلك الأثناء؛ فقرأ كتب علم الطب، وخاصة كتب الأسماء والخواص، وذلك لإيجاد علاج لنفسه من ناحية، ومعرفة تلك العلوم من ناحية أخرى، فابتعد عن الناس وتقرب إلى الله؛ لأنه كان يثق بأن الشفاء سيكون بالدعاء الخارج من القلب الطاهر[1].

وفي عام 1057هـ، درّس كتاب شرح الأشكال في الهندسة وكتاب المحمدية لعلي قوجي في الحساب لمولانا محمد بن أحمد الرومي، كما اكتشف قاعدة استخراج التقويم من الزيج. وفي عام 1058هـ، كتب حاجي خليفة كتاب تقويم التواريخ، وبسببه توسط له شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي لدى الصدر الأعظم قوجه محمد باشا؛ ليعينه في منصب (رؤوس الكاتب الثاني) بالرغم من معارضة كاتب جبلي لهذا الأمر[2].

فقد كان عبد الرحيم أفندي هذا صديقه المقرب وكاتم أسراره، فكان يتحدث معه في شؤون الدولة، وكان يستشيره في الأمور المختلفة[3]. حتى أنه أصدر فتوى بأن كتاب ميزان الحق لحاجي خليفة كتاب مفيد.

كان حاجي خليفة يقنع بما لديه من مال، ولا يطلب المزيد منه، فهو يقنع بالقدر الذي يعينه على متطلبات الحياة فقط.

ألّف حاجي خليفة العديد من مؤلفاته في السنوات الأخيرة من عمره، كما ترجم بعض المؤلفات اللاتينية إلى اللغة التركية بمساعدة الشيخ محمد الإخلاصي.

**وفاته:**

وفي صباح يوم السبت، الموافق السابع والعشرين من شهر ذي الحجة لعام 1067هـ، كان يشرب القهوة، فشعر بالتعب وسقط الفنجان من يده، ومات فجأة. وقد أخبر حاجي خليفة في قبيل وفاته زوجتَه بأنه يشعر بالخوف من البطيخ الخام الذي تناوله

(1) انظر: كشف الظنون، نشر شرف الدين يالجين قايا، علم الخواص، ج1، 725

(2) انظر تقويم التواريخ، نشر متفرقة، ص 247؛ ميزان الحق، ص 140

(3) انظر: فذلكه، 293؛ تحفة الكبار، استانبول 1329، ص 125

obeikandi.com

ليلة وفاته، والاغتسال بالماء البارد صبيحة يوم وفاته؛ حيث قال لها: (قمنا بعمل أشياء مخالفة لبعضها البعض؛ ليحفظنا الله بحفظه) [1].

وقد ورد نفس سبب الوفاة في نسخة كتاب ميزان الحق التي نسخت عام 1138 [2]. إلا أنه أضاف بعض التفصيلات؛ حيث ورد في تلك النسخة أنه أكل في تلك الليلة بطيخًا خامًا، فاضطربت معدته، وشعر بألم في صدره، فاستخدم بعض المعاجين والمسخنات، فإذا به يزداد اضطرابًا، وسقط الفنجان من يده، وبينما هو يبحث في كتب الطب عن علاج له إذا به يموت فجأة. وقد ورد تاريخ الوفاة في تلك المخطوطة 1067هـ، ولكنه شُطب، وكُتب بدلًا منه 1068هـ.

وقد اختلف بعض المؤرخين في تاريخ وفاته؛ تبعًا لما ورد في نسخ كتبه، وما بها من أخطاء النُّسَّاخ.

أما قبره، فيقع في فناء صغير ملاصق لسبيل يقع أسفل أحد المكاتب القريبة من جامع زيرك[3]. وقد أورد شرف الدين قايا صورة لهذا القبر القديم في النسخة التي نشرها لكتاب كشف الظنون. وفي عام 1953م أُمر ببناء قبر جديد له، عليه كتابة.

أما أصدق الكتب التي تناولت موضوع وفاته، فهو - ولا شك - نسخة كتاب جهاننما الموجودة بين نسخ مخطوطات روان، والتي تم ذكر بياناتها من قبل؛ حيث أورد صاحب الكتاب ويدعى محمد عزتي بن لطف الله تسجيلًا في آخر المخطوط بأنه اشترى الكتاب من ورثة حاجي خليفة عام 1069هـ، أي بعد عامين من وفاته. ويمكننا القول بأن كل المصادر التي تناولت حياة حاجي خليفة سواء كانت مخطوطة[4]، أو سواء

(1) انظر: مكتبة طوب قابي سرايي، روان، جهاننما، رقم 1624، 1أ

(2) مكتبة الفاتح، رقم 5335، ص 44 أ

(3) انظر: النسخة المخطوطة من ميزان الحق، بايزيد، المكتبة العامة، قسم رحمي بك، رقم 17167، 1 أ

(4) مثل: شيخي، وقائع الفضلا، مكتبة ولي الدين أفندي، رقم 2361، ج1، ص 131 أ؛ نفس الكتاب، مكتبة الجامعة، رقم 81، ج1، ص 310 ؛ مستقيم زاده، مجلات النصاب، مكتبة حالت أفندي، رقم 628، ص 316أ؛ شهري زاده سعيد أفندي، تاريخ نوبيدا، مكتبة جامعة استانبول، قسم خالص أفندي، 3291 T، ص 4

opelkanal.com

الكتب المطبوعة[1]؛ إنما هي كلها ترجمة أو تكرار لسيرته الذاتية الواردة بكتابه "ميزان الحق"، كما استفادوا أيضًا من كتاب سلم الوصول.

**شخصيته:**

طبقًا لشهادة محمد عزتي بن لطف الله – الذي اشترى معظم أعمال حاجي خليفة ومسوداته من ورثته بعد عامين من وفاته – كان حاجي خليفة شخصًا صاحب همة، ذا خلق حسن، يتكلم قليلا[2].

وقد نظم عشاقي زاده – صديق كاتب جبلي في مرحلة الشباب – بعض الأبيات عنه[3].

لقد اكتسب حاجي خليفة حبَّ واحترام الجميع في عصره وبعد عصره، ولم يهجه إلا مؤلف يدعى "الشيخ محمد نظامي" في كتابه المسمى "هداية الإخوان وعبرة الخلان" الذي ألفه عام 1108هـ/ 1696م وذلك بسبب ذكر حاجي خليفة للعداوة التي كانت بين الشيخ السيواسي والشيخ قاضي زاده الرومي؛ حيث قال محمد نظامي في ذلك:

"إن هذا الشخص المدعو حاجي خليفة، الذي هو من كتّاب قلم المقابلة ليس معلوم له مشرب ولا مذهب، ومتكبر، ولا يعرف حده؛ فقد ذكر في المبحث الحادي والعشرين من رسالته الباطلة "ميزان الحق" أن الشيخين الجليلين قاضي زاده والسيواسي كانا معروفين للسلطان بأنهما متخالفان في الرأي".

---

(1) مثل: تقويم التواريخ، نشر متفرقة، 1146، مناقب حاجي خليفه، القسم الذي يلي المقدمة؛ محمد طاهر البورصوي، المؤرخون العثمانيون، سلانيك 1322، ص 13 – 43؛ نفس المؤلف، المؤلفون العثمانيون، 1342، ج3، 124؛ محمد ثريا، سجل عثماني، ج4، 395؛ عدنان أديوار، العلم عند الأتراك العثمانيين، استانبول 1943، ص 105 وتوجد فيه معلومات مفصلة وجيدة عن حاجي خليفه وأعماله؛ جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1931، ج3، 317؛ كشف الظنون، نشر شرف الدين قايا، المقدمة، العامود 17؛ نفس الكتاب، نشر فيلجول، ج10، ؛ بابينجر، المؤرخون العثمانيون، 1927، 195؛ بروكلمان، جال، ج2، 427، هامر، المؤرخون العثمانيون، ج4، ص 45

(2) انظر: جهاننما، مكتبة طوب قابي سرايي، روان، رقم 1624، 1

(3) انظر: زيل عشاقي زاده، مكتبة السليمانية، قسم حفيد أفندي، رقم 242، 131 أ؛ نفس الكتاب، مكتبة وهيب الدين أفندي، رقم 2361، ج1، 131 ب.

**أما شهرة الشيخ سيواسي أفندي، فلم تكن بالمقارنة لقاضي زاده "**[1].

وعلى هذا تُثبت كل أعمال حاجي خليفة – وعلى رأسها ميزان الحق – أنه متسامح ومحايد. وكما أنه كان وقورًا بطبيعته لا يحب الهجاء، ويدل على ذلك أنه أثناء حديثه عن "سهام القضاء" لنفعي، قال إن هذا العمل معتبر عن كل الروم بالرغم من أنه عبارة عن هجاء من أوله إلى آخره، والسبب في كونه معتبرًا عند الروم أنه متوافق مع طبيعتهم[2]. وفي مقابل ذلك، كان يقدر أخلاق الأهالي بشكل لم يثبت في أي عمل آخر.

هذا بالإضافة إلى أنه كان يورد مساحة قليلة للغاية للمزاح في أعماله، من ذلك على سبيل المثال: (وقُتل من العجم الكثير لدرجة أن جثثهم كانت تملأ المدينة والصحراء، ولم يسبق أن أكل منهم السيف مثل ذلك، بالهناء والشفاء) [3].

أشار عشاقي زاده إلى أنه لم يشرب الدخان[4]؛ ولأنه كان يهتم بالذوق الرفيع كان يزرع الزهور، وخاصة السنابل الزرقاء[5].

## حاجي خليفة والتصوف:

وقد أوضح حاجي خليفة أنه على المذهب الحنفي والمذهب الإشراقي[6]. وأوضح أن المذهب الإشراقي واحد من العلوم الفلسفية، وهو بمنزلة التصوف في العلوم الإسلامية.

ويتفق حاجي خليفة مع الرأي القائل بأن الصوفية يمكنهم بفضل الرياضة الكثيرة الثقيلة أن يسيروا بالأرواح في عالم الأشباح، ولكنه يرفض إظهار بعض المدعين الكاذبين قيامهم باللقاء والمعاملات الروحية في العالم الحقيقي[7].

---

(1) انظر: هداية الإخوان، مكتبة السليمانية، قسم الحاج محمود أفندي رقم 4587، الهدية السادسة في بيان مناقب الشيخ السيواسي، ولى الدين أفندي، رقم 1864

(2) انظر: كشف الظنون، شرف الدين يالتقايا، معلم رفعت الكليسلي، ج2، 1010

(3) انظر: فذلكه، ج2، 204

(4) انظر: ميزان الحق، نشر أبو الضيا، 52

(5) انظر: عبيدي، تذكرة الشكوفه جيان، مكتبة جامعة استانبول، رقم 3923، ص9أ

(6) انظر: سلم الوصول، 271 أ

(7) انظر: ميزان الحق، نشر أبو الضيا، مبحث حياة الخضر ص 17

ومع ذلك لم تكن قناعاته لصالح التكايا؛ لأن تلك التكايا أصبحت ملجأ للكثير من الجهلاء من النساء والأطفال، ومن ذلك ما ذكره في سلم الوصول عن ضريح الشيخ قراجه أحمد الخراساني: "الشيخ قراجه أحمد الخراساني، وكان معروف المقامات والكرمات، مشهورًا بين العوام ذكره من مشايخ الدولة الأورخانية، وقد أحدثوا بعده زاوية منسوبة إليه ببلدة قسطنطنية؛ فصارت مأوى الجهلة من النسوان والصبيان"[1].

لقد خاض حاجي خليفة حربًا ضد كل أنواع التعصب، ورجا الله بأن يهدي المتعصبين إلى الإنصاف، وأوضح أن التعصب سيوقع الناس في فتنة، وتناول المسائل التي يمكن أن تظهر في كل عصر، ويمكن أن تؤدي إلى فتنة بل وحرب داخلية بين الأهالي بسبب التعصب. وسعى إلى إظهار عدم فائدة هذا التيار بطريق العقل والنقل، وعمل على إعاقته. وكان كتابه "ميزان الحق" هو نتاج جهوده تلك.

## حاجي خليفة والتاريخ:

ومن خلال ما عرفناه من حاجي خليفة نفسه ومن طلابه الذين تعلموا على يديه، علمنا أنه كان مغرمًا بالكتب وقراءة الكتب، وكان يشتري بكل ما معه من أموال الكتب، حتى أنه اشترى بجزء كبير من الأموال، التي ورثها عن أحد أقاربه كتبًا. وكانت كتب التاريخ والطبقات والوفيات من أكثر الكتب التي يطالعها حاجي خليفة، وكان يرجع إلى العديد من المصادر التاريخية؛ لإيضاح نقطة تاريخية ما، وأوضح في كتاب "كشف الظنون" عندما كان يتحدث عن كتابه الفذلكه، أنه طالع ما يقرب من 1300 كتابَ تاريخ، يقول "وأما الكتب المصنفة في التاريخ فقد استقصيناها إلى ألف وثلاثمائة فنذكره هنا على الترتيب المعهود".

وقد أورد شري زاده حكاية تؤكد صدق كلام حاجي خليفة في هذا الموضوع، وأنه كان مطلع على الأحداث التاريخية من خلال معلوماته الشخصية، والكتب التي طالعها، يقول: "سأل يحيى أفندي شيخ الإسلام – ذات يوم – حاجي خليفة عن صحة المعلومة التي تقول بأنه يمتلك أكثر من ألف مجلد في التاريخ، فأجابه حاجي خليفة بأنه بالفعل يمتلك أكثر من ذلك، فلما أومأ يحي أفندي برأسه في إشارة منه على أنه لم يصدق كلامه، فوجئ بحاجي خليفة في اليوم التالي يحضر إليه ومعه عشرة بغال، كل واحد منها محمل بثلاثمائة مجلد في التاريخ، هذا بخلاف الكتب التي لم تكن مجلدة، وتركها في المنزل".

(1) سلم الوصول 8 ب

وقد خصص حاجي خليفة الفصل الثاني في كتابه الفذلكة المكتوب باللغة العربية للتعريف بعلم التاريخ لغة واصطلاحًا، وموضوع التاريخ وأهميته. وأورد اقتباسات من كتب التاريخ التي ألفت قبله، واتفق معها كلها في أن موضوع التاريخ هو تناول الشخصيات الماضية من أنبياء ورسل وحكام وأولياء وشعراء، وغيرهم. وأوضح أن هدف هذا العلم هو الوقوف على أخبار السابقين، وأخذ عبرة منهم، واجتناب الأحداث التي أثبتت التجارب التاريخية أنها ستضر أو ستؤدي إلى الضرر. ولكنه أوضح أن أحسن تعبير صادفه عن تعريف علم التاريخ هو الذي ذكره جنابي في مقدمة كتابه؛ حيث قال "إن علم التاريخ يأتي على رأس كل العلوم، وبه يمكن التعرف على كتاب الله، وقدرته ورحمته[1].

ويرى حاجي خليفة أنه يجب على رجال الدولة، ومن هم في السلطة، تتبع الأخبار التاريخية ومعرفة أخبار من قبلهم. من ناحية أخرى، رأى أن الأخطاء التي قام بها قادة الجيش في الحروب؛ إنما سببها عدم تتبعهم ومعرفتهم بكتب التاريخ. وعندما كان يتحدث عن فاجعة عثمان الثاني، أوضح أن بعض المؤرخين اختصر تلك الحادثة؛ لأنها تدعو للحزن، وكان حاجي خليفة ضد ذلك؛ لأن وظيفة التاريخ عنده هي بيان وقوع الحادث. وبالتالي، يلزم على الكاتب ألا يخلّ بالموضوع، الأمر الذي جعله يورد ملخصًا لكتاب أُلف لهذه الحادثة بالذات، وألحق به بعض الإضافات من المصادر التاريخية الأخرى، ودافع عن تركه لأحاسيسه جانبًا، وأنه التزم الحياد في ذكرها، فقال: "وأدينا حق التحرير، وأوفينا بأخبار تلك الواقعة".

## حاجي خليفة والجغرافيا:

وقد شغف حاجي خليفة بالعلوم الأخرى غير التاريخ ومنها الجغرافيا؛ حيث رأى أن كتب الجغرافيا الموجودة في الغرب وعند اليونانيين، قد فاقت الحد جدًّا في هذا الموضوع. أما المؤلفين المسلمين، فكان يشوبهم نقص المعرفة في هذا العلم، وكتبهم مليئة بالأخطاء والاضطرابات؛ فقرر أن يؤلف كتابه "جهاننما" من أجل تلافي هذا النقص الموجود في الشرق.

وقد أوضح حاجي خليفة أن فائدة هذا العلم – أي علم الجغرافيا – هي إلمام الشخص العادي بكافة المعلومات عن الأقطار الموجودة في العالم، وهو جالس في أحد أركان بيته في سكون وراحة، مثله مثل أكبر الرحالة في العالم الذي جابوا البلدان، وقضوا معظم حياتهم في التجول في الأمصار والأقطار.

(1) كشف الظنون/ ج1، 271

**التشريح والفلك:**

وقد شغف حاجي خليفة – أيضًا – بغير ذلك من العلوم، وشرح فائدتها من حيث إيضاح الحقائق الموجودة في الكائنات، وذكر أن من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو في معرفة الله عنين[1].

كما أوضح فائدة علم الهيئة في مناقشة النظريات الخاصة بكروية أو بيضاوية الأرض.

**العلوم ونهضة المجتمع:**

وإلى جانب تلك الآراء المختلفة لحاجي خليفة عن العلوم، فهو ينظر إلى العلم على الإطلاق بأنه وسلة لنهوض المجتمع ووسيلة لاستمراره. وأن أهمية العلماء في المجتمع كالقلب في الجسد، وبالتالي فهو يرى أنه لا يوجد شيء يفوق العلم أبدًا. ولم يُفرق في أي وقت بين إرشاد العلم في إيضاح الأحداث.

**آراؤه النقدية:**

وإلى جانب تلك الآراء المثبتة لحاجي خليفة، كانت له– أحيانًا – آراء نقدية لبعض الكتاب، كما هو الحال في نقده لكتاب مرآة العوالم لعالي أفندي؛ حيث يقول:

"مرآة العوالم تركي مختصر لعالي أفندي، ذكر فيه ابتداء الخلق، وما قيل في ذلك من الأوهام والأباطيل، التي نشأت من الجهل وقلة العقل، وعدم الوقوف على النقل الصحيح كما في كنه الأخبار من الهذيان والإكثار"[2].

كما وقف بشدة أمام الأخطاء التي تنشأ من المترجمين، وأحيانًا المؤلفين.

لقد وسّع حاجي خليفة حدود معرفته بالكتب الكثيرة، التي قرأها في شتى العلوم، وكان يستخدمها كلها حينما يحين وقتها. ومن ذلك على سبيل المثال، أنه لم يقبل ما ذكره المسعودي عن طرز بناء سور لمدينة واقعة في البحر لمسافة ميلين؛ لأن ذلك كان مخالفًا لقانون وهندسة الأبنية، التي تتم داخل الماء، وهذا على حد ما استشهد به من المعماري الذي قام ببنائه، ويؤيد ذلك ما أورده أثناء حديثه عن أمر خسرو باشا ببناء قلعة كول عنبر.

---

(1) إلهام المقدس، نور عثمانية 4075، ورقة 1

(2) كشف الظنون، ج2، 1649

ومما يُفهم من بعض أعمال حاجي خليفة، أنه استفاد من المصادر الغربية؛ لإكمال النقص الموجود في الكتب المدونة بالعربية أو بالتركية، وبالنظر إلى ما قاله "وقد قام الحقير بترجمة الأطلس مينور إلى اللغة التركية" نعلم أنه استفاد من المصادر المكتوبة باللغة اللاتينية، وترجم بعضها إلى اللغة التركية.

**الترجمة:**

وبخلاف تلك الترجمات التي ذكرها حاجي خليفة في أعماله، توجد له عدة ترجمات أخرى، ومنها المقالة الثامنة لكتاب ماتورا، وهو شرح لفلسفة أرسطو، وغيرها من الأعمال الأجنبية الأخرى. وبخلاف تلك المصادر الغربية التي استفاد منها في كتابه جهاننما، له كتاب آخر باسم "ماوريقا ديكموندي" على طرز كتاب "مسالك الممالك" بدون صور، نقل وترجم بعض أقسامه من كتاب لورينزو، وقد قام حاجي خليفة بتصحيح ونقد تلك الكتب ما أمكن، واستخدمها.

وبخصوص المعلومات التي أوردها صاحب الأطلس عن الدولة العثمانية، فبالرغم من أنه نقلها كما هي إلا أنه أصلح وفصّل فيها الكثير بما تيسر له أثناء كتابة جهاننما.

وفي مقدمة كتاب جهاننما، أعطى حاجي خليفة معلومات مختصرة عن المصادر التي استخدمها، وأوضح – أيضًا – آراءه النقدية، وأخطاء هذه المصادر كما هو معتاد عنده. كما أوضح – أيضًا – أن الترجمة التي قام بها شريف أفندي لكتاب أحمد بن سهل البلخي غير علمية بالمرة، وقد رأى حاجي خليفة عدم جواز اقتباس المعلومات، التي يقتنع قارئها بأنها مكذوبة.

**أعماله:**

**1 – الفذلكه باللغة العربية:**

اسم هذا الكتاب الذي وصفه حاجي خليفة بأنه التاريخ الكبير[1] (فذلكه أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار) [2]، وقد عرفه حاجي خليفة في كتابه الفذلكه الذي كتبه باللغة التركية بأنه (فذلكه التواريخ)[3]. وقسمه إلى أربعة فصول، الأول منها: في

(1) انظر: تقويم التواريخ، مخطوطات مختلفة، خاتمة الخاتمة.

(2) انظر: للاطلاع على النسخة المخطوطة الوحيدة، انظر: مكتبة بايزيد العامة رقم 10318، 436، 8 أ.

(3) انظر: الفذلكه، نور عثمانية، رقم 3153. أما كشف الظنون (الجزء الأول ص 291).

بيان الفصول والأبواب الموجودة بالكتاب، والثاني: في بيان معنى التاريخ وموضوعه وفائدته، والثالث: يتضمن قائمة مرتبة أبجديًّا بالكتب التي ألفت في هذا الموضوع. وقد صرح حاجي خليفة بأن هذا الفصل يحتوي على 1300 اسم كتاب[1]. ولكن مع الأسف ناقص من النسخة العربية الوحيدة المخطوطة؛ حيث أن عدد الكتب التاريخية التي ذكرها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون تبلغ 914 كتابًا[2]. وهذه القائمة تتضمن كل الكتب التاريخية المعروفة التي كُتبت باللغات العربية والفارسية والتركية. أما الفصل الرابع: فهو خاص بالقواعد التي يجب على المؤرخ معرفتها، وكذا الشروط التي يجب أن يراعيها.

ويذكر حاجي خليفة في كتابه "ميزان الحق" أن هذا الكتاب كان ملخصًا لمائة وخمسين دولة ذكرتها المصادر التاريخية. وبالرغم من أنه أوصى بتبييض نسخة لشيخ الإسلام يحيى أفندي ليقدمها للسلطان، إلا أنه لم يقم بذلك؛ لذا فإن النسخة الوحيدة الموجودة حاليًا بخط المؤلف على شكل مسودة لم يتم تبييضها، ويذكر شهري زاده في كتابه (نو بيدا) أنه كان ينوي ترجمته إلى اللغة التركية، والنسخة الوحيدة المخطوطة منه موجودة في مكتبة بايزيد العامة برقم 10318.

**2 – الفذلكه التركية:**

تبدأ من عام 1000هـ إلى عام 1065هـ، وهي بمثابة الذيل للفذلكة العربية، وقد صرح حاجي خليفة بأنه كتبها باللغة التركية؛ ليفهمها أهل استانبول[3]. والنسخة المخطوطة منه الموجودة في مكتبة نور عثمانية برقم 3153 ورقم 1065 – 1066 بمكتبة فيينا[4]، والكتاب عبارة عن كتاب وقائع صُنف على حسب السنوات. وفي نهاية كل سنة، يذكر ملخصًا عن رجال الدولة، الذين توفوا في تلك السنة والعلماء والشعراء والمشهورين وأعمالهم. وقد استفاد المؤلف من المصادر التاريخية المختلفة في العصور التي لم يلحق بها[5].

---

(1) انظر: تقويم التواريخ، مخطوطات مختلفة، خاتمة الخاتمة.

(2) انظر: كشف الظنون، ج1، ص 271.

(3) Fezleke. Nurosmaniye Kütüphanesi. nr 3153. 1a.

(4) Takvim al - tavarih. Süleymaniye. Haci Mahmut Efendi Kitabları. nr 4840. 1a.Aynı kütp. Esad Efendi. nr 2399. 1a.

(5) F.Babinger. Die Geschichtschreiber der osmanen. s. 174.

وينتهي الكتاب بثورة إبشير باشا عام 1065هـ، وقد سار نعيما على نفس نهج الفذلكه، واستفاد منه في مواضع كثيرة نقلها كما هي [1]. كما قام فينديقلي محمد أغا بعمل زيل للكتاب[2].

وقد طُبع الفذلكه التركي على شكل مجلدين في مطبعة (جريدة الحوادث)[3] وله نسخ مخطوطة كثيرة [4]. أما نسخة المؤلف، فموجودة بمكتبة عاطف أفندي باستانبول برقم 1914 ومن بدايتها وحتى الورقة 204 مكتوبة بخط يد حاجي خليفة، وكما هو الحال في أي نسخة مخطوطة للمؤلف، نجد في تلك النسخة أيضًا أماكن ممسوحة، وأخرى قام بتصحيحها في الهامش. وعند مقارنة هذه النسخة بالنسخة المطبوعة، يتضح لنا أن كثيرًا من تلك التصليحات غير موجود بالنسخة المطبوعة.

أما عن النسخ الأخرى الموجودة للكتاب، فتوجد في مكتبات:

طوب قابي سراى رقم 208، طوب قابي، قسم روان رقم 1186 – 1187، طوب قابي قسم السلطان أحمد رقم 389، طوب قابي، قسم الخزينة رقم 1311، نور عثمانية رقم 3152 – 3153، مكتبة مللت قسم علي أميري رقم 448، وقسم علي باشا حكيم أغلو رقم 785، مكتبة الفاتح رقم 4444، مكتبة راغب باشا رقم 1036، مكتبة مولا مراد قسم الحميدية رقم 910، خسرو باشا رقم 440 – 441 – 442، السليمانية قسم أسعد أفندي رقم 2399.

**3 – تحفة الكبار في أسفار البحار**

ألفه حاجي خليفة بسبب حملة كريت، التي بدأت عام 1645م الموافق 1055هـ. وتناول فيه الحملات البحرية العثمانية منذ العهود الأولى وحتى عام 1067هـ[5]، وشرح فيه الأخطاء التي وقع فيها القادة البحريون سواء كانت نقصًا في الإجراءات أو خطأ في

(1) Ayn. Esr. c.1. s. 236.

(2) F.Babinger. Ayn esr. 245.

(3) Silahdar Tarihi. neşr. Türk Tarih Encümanı. ist 1928. c.1. s. 2.

(4) للاطلاع على المخطوطات الموجودة في مكتبات استانبول، انظر: فهرس المخطوطات التاريخية التركية، نشر وزارة التعليم القومي، استانبول 1944، ملزمة2، ص 161.

(5) Müteferrika basması 5b.

التنفيذ. وكيف كانت تلك الأخطاء سببًا في هزيمة الأسطول العثماني، وهو ما جعل الدول الأجنبية تشعر بالفخر والقوة.

وقد أورد حاجي خليفة أنه ألّف هذا الكتاب لينقذنا من تلك الأخطاء، وتكون لنا عبرة، الأمر الذي جعله يورد بعد كل حملة من الحملات، وخاصة حملة كريت عظة ووصية لعدم الوقوع في مثل هذا الخطأ وتفاديه، والحيلولة دون الوقوع فيه[1].

ثم اختتم الكتاب بفصل سمَّاه الوصايا ذكر فيه 40 وصية [2]. ويذكر إبراهيم متفرقة أنه قام بضم بعض المحسنات للتوضيح أثناء طبع الكتاب[3]، تم طبع الكتاب في غرة شهر ذي القعدة عام 1141هـ، وهو ثاني كتاب يُطبع في المطبعة، وكانت طبعته الأولى من الحجم الصغير، وتحتوي على أخطاء في صفحات الفهرس وصفحتين أخرتين، وقد أضاف متفرقة للكتاب أثناء طبعه، أربع خرائط، هي: خريطة للعالم، وخريطة للبحر الأبيض والبحر الأسود، وخريطة للجزر العثمانية في البحر الأبيض، وخريطة بحر الأدرياتيك والبلدان الواقعة عليه. كما وضع بوصلتين تُظهران 32 نوعًا من الرياح، أحدهما بلغة المسلمين الذين يبحرون في البحر الأبيض والأسود، والأخرى بلغة الهند والسند والفارسية في مياه المحيط الشرقي. والخرائط الموجودة بالكتاب هي نفسها الموجودة بكتاب جهاننما[4].

والقسم الأول من الكتاب خُصص للفتوحات البحرية قبل زمن حاجي خليفة، وقد رجع فيها حاجي خليفة إلى مصادر، مثل: تاج التواريخ، وروضة الأخبار، وتاريخ فتح خانية، ومرآة الممالك، وكتاب بحرية؛ فكان الكتاب بمثابة الملخص لهم. على سبيل المثال، الجزء الخاص بالقائد خير الدين باشا بارباروس مأخوذ كما هو من كتاب غزوات خيرا الدين لسنان جاوش[5]؛ ولأن الفصول الأخيرة من هذا القسم تحتوي على الوقائع الخاصة بعهده، فإنه لا شك أنه استغنى عن الرجوع إلى المصادر الأخرى.

---

(1) Müteferrika Basması. 21b. 25 a. 37. 39 b. 41b. 42a.

(2) Ayn esr. 72.

(3) Ayn. esr. Mukaddime

(4) F.Babinger. Sambuler Buchwesen. Leipzig 1919. s. 12.

(5) Mütefarrika Basması. 12a. Hammer. GOR. c.3. s. 164.

وقد قُسم الكتاب إلى تسعة فصول، وقسمين، والقسم الأول من الكتاب خُصص للفتوحات البحرية – كما ذكرنا آنفا – القسم الثاني ويتضمن سبعة فصول عن الأسطول العثماني والترسانة العامرة، وأوضاع البحر. وأوضح حاجي خليفة في خاتمة الكتاب أن السبب في تجرؤ العدو على الهجوم على الدولة العثمانية هو الإهمال والتقصير في اتخاذ الإجراءات اللازمة للفساد المالي والخزينة والجنود. كما يؤكد الكتاب على أن الأمور كانت منتظمة في عهد السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني؛ لأن الجميع كان يسير على الطريق القويم، إلا أنه بعد أن حادوا عن هذا الطريق، كانت النتيجة أن ساءت الأمور.

**النسخ المطبوعة من كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار":**

طبعة متفرقة، وهي طبعة من الحجم الصغير، الورقة بها مزدوجة بأبعاد 2+75+7، وبها خمس خرائط. وطبعت عام 1141هـ. أما الطبعة الثانية طبعة المطبعة البحرية باستانبول عام 1329هـ، وهي من القطع الكبير بأبعاد +166+12 2، وبها العديد من الرسومات والخرائط الملونة.

**النسخ المخطوطة من كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" [1]:**

مكتبة طوب قابي سراي، قسم روان، رقم 1192. وهي نسخة حاجي خليفة. بها خرائط كبيرة، واثنتان من الرسومات الملونة بعد الورقة الخامسة عشرة. وبنفس المكان، أي مكتبة طوب قابي نسخ مخطوطة أخرى تحمل أرقام 1188 – 1189 – 1190، وأرقام 1640 – 96ب – 183أ، مكتبة آيا صوفيا رقم 3126. مكتبة نور عثمانية رقم 3219 – 3221. مكتبة مللت قسم رشيد أفندي 642 – 681. مكتبة السليمانية، قسم داماد إبراهيم باشا 908. مكتبة راغب باشا، قسم توفيق يحيى أفندي رقم 259. ويوجد بتلك النسخة تسجيل (تاريخ قاندية المسمى تحفة الكبار) وقد ذكر بروكلمان أن هذا التسجيل يوحي بأن هذا الكتاب هو عمل آخر لحاجي خليفة. مكتبة مولا مراد، قسم لاله إسماعيل أفندي رقم 310، مكتبات استانبول فهرس المخطوطات الجغرافية والتاريخية 1944، ملزمة 2، ص 165.

(1) للاطلاع على بعض النسخ المخطوطة الموجودة في مكتبات أوروبا وتركيا، انظر: بابنجر، المؤرخون العثمانيون، ص 202.

**التراجم:**

للترجمة الإنجليزية، وقام بها جيمس ميشيل، وهي باسم – The History of the Mar time of the turks لندن 1831م. وقد زعم المترجم أنه ترجمها من النسخة الأصلية المكتوبة باللغة الفارسية!! وترجم منها من أولها إلى نهاية الفصل الرابع فقط، وكتب مقدمة في 13 صفحة[1].

**الترجمة الفرنسية[2].**

**4 – تقويم التواريخ:**

ويذكر حاجي خليفة أن هذا الكتاب بمثابة الجدول الزمني (التقويم) للوقائع التاريخية المذكورة في الكتب التاريخية، منذ هبوط آدم وحتى عام 1058هـ[3]، حتى أنه عدَّه جدولًا زمنيًّا لكتب التاريخ التي كتبها هو، وخاصة كتاب الفذلكه العربي[4]. أتمه في شهرين عام 1085هـ، وبالرغم من أن شمعداني زاده يزعم بأن المؤلف – أي حاجي خليفة – أكمله بعد ذلك؛ ليصل حتى عام 1067[5]، إلا أن هذا خطأ؛ لأن الواضح من نسخة كُتبت عام 1073هـ[6]، ونسخة أخرى كُتبت عام 1102هـ من نسخة المؤلف الأصلية[7]، أن المؤلف ذكر صراحة أنه لم يكتب الوقائع إلا لعام 1058هـ فقط. وفي نهاية العام، الذي أُلف فيه الكتاب، قُدم للصدر الأعظم قوجه محمد باشا بواسطة شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي؛ مما أدى إلى ترقية المؤلف إلى درجة كاتب ثان[8].

---

(1) F.Babinger. Sambuler Buchwesen. s. 12.

(2) F.Babinger. Sambuler Buchwesen. s. 12.

شوقي، تحفة الكبار وحاجي خليفة، استانبول 1932، رسالة تاريخية، جامعة استانبول، مكتبة الندوات التاريخية (Tarih semineri kütüphanesi)، ص 90.

(3) Müteferrika Basması. Mukaddime.

(4) Mizan al - Hak. 140.Kaşf el –Zunun. c.1. s. 469.

(5) Takvim al - tavarih Zeyli. Millet Kütüphanesi. Ali Emiri. Tarih nr 131. 1b.

(6) Veliyüdin Efendi Kütp. nr 2410. Kapak sahifesi.

(7) Ayn yerde. nr 2409. 68 a.

(8) Mizan al - Hak. 140.Takvim. Müteferrika Basması. Mukaddime. s. 246.

obeikandl.com

**لقد جمع حاجي خليفة خلاصة الكتب التاريخية التي قرأها في ثلاثة أجزاء، يقول حاجي خليفة في ذلك:**

"وذكرت فيه التواريخ المستعملة، ثم الوقائع مجدولًا، وجعلته نسختين في ثلاث كراريس، كل صحيفة منها خمسين سنة، ونسخة في نحو عشْر كراريس، كل صحيفة منها عشر سنين، فصار كالفهرس لكتب التواريخ، ولفذلكتي خاصة"[1].

وللكتاب ذيول كثيرة أول اثنين منها[2]، الذيل الذي كُتب حتى تاريخ محمد شيخي أفندي شيخ محمد البخاري[3]، والذيل الذي قام به إبراهيم متفرقة حتى عام 1146هـ[4].

وقد قام إبراهيم متفرقة بطباعة النسخة الأصلية والذيلين معا في 1146هـ في كتاب يبلغ 247 صحيفة من القطع الصغير المزدوج[5]، وقد أكمل شمعداني زاده هذا الذيل في كتابه "مرآة التواريخ" حتى عام 1191هـ، كما أتم علي سعاوي الذيل من عام 1147هـ، حتى عام 1227هـ، وأضاف إليه حواشي ومقدمة، ولكنه لم يتمكن إلا من طباعة 128 صفحة فقط في باريس من تلك النسخة[6]. ومن الصعب تحديد أصحاب معظم النسخ المخطوطة الموجودة في مكتبات استانبول، فكلها على شكل ذيول كُتبت على يد كتّاب مختلفين في الفترة من 1058 وحتى 1148 هـ.

**أما النسخ المخطوطة من ذلك الكتاب، فتوجد في:**

- مخطوطات مكتبة طوب قابي سراي.
- مخطوطة خزينة الأمانات.
- مخطوطات مكتبة السليمانية.

(1) Kaşf el –Zunun. c.1. s. 469.

(2) Babinger. Geschichtschreiber der osmanen. 196.

(3) Takvim al - tavarih Zeyli. Millet Kütüphanesi. Ali Emiri. Tarih nr 131. 1b.

(4) F.Babinger. Sambuler Buchwesen. s. 16.

(5) Müteferrika Basması. Mukaddime.

(6) Babinger. Geschichtschreiber der osmanen. 196. Bursalı Mehmet Tahir. Osmanlı Müellifleri. c.3. s. 126.

- مخطوطات مكتبة مللت.
- مخطوطات مكتبة بايزيد العامة.
- المخطوطات الموجودة في الأماكن الأخرى.

**5 – القانون نامه:**

بالرغم من أن حاجي خليفة ذكر في كتاب "ميزان الحق" أنه كتب القانون نامه في عام 1064 هـ، إلا أنه لم يعط أي معلومات عن الكتاب. وقد ذكر شهري زاده في كتابه "نوبيدا" [1] أنه عبارة عن كتاب جمع فيه حاجي خليفة كتب القوانين نامه المفصلة والمتوسطة، أما محمد طاهر البورصوي فيذكر أنه كتاب في التشريفات العثمانية القديمة، وكان باسم "قانون نامه التشريفات"، وكان ينقسم إلى قسمين[2]. وبالرغم من أن إفادة محمد طاهر البورصوي تدل على إنه رأى الكتاب، إلا أن عدم ذكره له بين مؤلفات حاجي خليفة أثناء تعريفه له في كتابه (المؤلفون العثمانيون)[3]؛ يدل على إنه استند في معلوماته تلك إلى شهري زاده[4]، أو أي مؤلف آخر.

**6 – ترجمة تاريخ الفرنكي:**

هو ترجمة للكتاب المسمى (التقويم) لجون كاريون، وقد نُشرت منه بعض المقتطفات في جريدة تصوير الأفكار في الأعداد من العدد 55. وقول مرتمان في الموسوعة الإسلامية طبعة ليدين، وقول بابنجر في كتابه Geschichtschreiber der Osmanen بأن هذا الكتاب هو ترجمة لتاريخ Chalcondyle قول خاطئ[5].

وقد ذُكر هذا الكتاب في "ميزان الحق" باسم تاريخ فرنكي فقط، وذكر حاجي خليفة أنه ترجمه بمساعدة الشيخ محمد الإخلاصي، وذلك من أجل نقله وضمه للتواريخ التركية [6]. وقد كانت الترجمة 188 صفحة بعدها تأتي الذيول الملحقة بالكتاب. الذيل

(1) Istanbul Üniversite Kütp. T 3291. 19b .

(2) Müverrihin i - osmaniyeden Ali ve Katip çelebinin tercüme Halleri. Selanik 1322. s. 40.

(3) c.3. s 124.

(4) Ayn yerde.

(5) Adnan Adıvar. Osmanlı Türklerinde ilim. s. 129.

(6) Tuhfat al - kibar. Müteferrika Basması. 7b.

الأول ويتناول السلطان القانوني، وإخراج المسلمين من أسبانيا في ذلك الوقت بالقوة، وإجبارهم على الردة عن الإسلام، وقد استُل هذا الذيل من تاريخ الراهب هوراتيوس تورساليانو، ثم يأتي بعد ذلك الذيل الثاني والثالث [1].

**7 – تاريخ قسطنطينية وقيصري (رونق السلطنة):**

طبقًا للمعلومات المختصرة الواردة في كتاب ميزان الحق والمعلومات الموجودة في المقدمة، أن هذا الكتاب (تاريخ القسطنطينية ) أو (رونق السلطنة) أيضًا مترجم. وأن حاجي خليفة كتبه بطريق الانتخاب والترجمة من الكتاب الكبير، ويتضمن الأحداث والوقائع، التي جرت في الشرق وحتى عام 1579م. والكتاب الأصلي كُتب على يد عدة مؤلفين، وقد طُبع الكتاب الأصلي الذي ألفوه في فرانكفورت عام 1587م.

ويتحدث الكتاب عن الفتح الإسلامي، وانقراض دولة البلغار، وحرب المغول، وحصار قونية، وسلطان قونية قليج أرسلان، والبيزنطيين، والسلاجقة والحملات الصليبية، والفتوحات الإسلامية بعد فتح صاروخان، وحرب البوسنة وداتشيا، والوقائع التاريخية التي جرت أيام البيزنطيين والعثمانيين. والقنوات المائية الموجودة في استانبول، والبساتين، والأخشاب، والحرائق، والزلازل التي وقعت في استانبول [2].

**8 – إرشاد الحيارى إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى:**

رأى حاجي خليفة أن ما كُتب في المصادر الإسلامية عن الدول الأوروبية وعن حكامها، ما هي إلا أكاذيب وخرافات وأشياء تدعو للسخرية، ورأى أنه بدلًا من الموافقة على تلك الخرافات من باب التعصب الأعمى؛ أن نقف على أخبار وأحوال تلك البلدان وشؤونها؛ لأن الكتابَ المسلمين لا يعرفون أي شيء عن تلك البلدان المجاورة لهم، وفي نفس الوقت أعداء لهم، الأمر الذي جعله يؤلف هذا الكتاب الذي يقع في 85 ورقة، وقد كان المصدر الأساسي له كتاب أطلس مينور الذي ترجمه حاجي خليفة، وبعض المصادر التاريخية.

وقد بدأ حاجي خليفة تأليف هذا الكتاب في الرابع عشر من شهر كانون الثاني عام 1654م، وأشار إلى أنه يحتوي على معلومات لا توجد في الكتب العربية والفارسية والتركية التي قرأها. والكتاب ينقسم إلى قسمين، ومقدمة. القسم الأول

(1) Bursalı Mehmet Tahir. Katib çelebi. s. 130.

(2) Babinger. Der osmanen. s. 200.Osmanlı Müellifleri. c.3. s. 130.

عن الأديان الأوروبية، والثاني عن قوانين وعادات الحكام الأوربيين. وقد قسّم كل قسْم إلى قسمين آخرين، أوضح فيهما شكل الإدارات في البلدان الأوروبية، مثل: الديمقراطية، والأرستقراطية، والجمهورية، وأصول الانتخابات، وعلاقة تلك الدول بالعثمانيين [1].

**9 – سلم الوصول إلى طبقات الفحول:**

كتاب طبقات باللغة العربية مرتب أبجديًّا. وينقسم الكتاب إلى قسمين، الأول: عن الرجال المشهورين بأسمائهم، والآخر: عن الرجال المشهورين بكنيتهم أو ألقابهم، وكل حرف به يعد بابًا. ويعد هذا الكتاب بمثابة الفهرس لمؤلفي الكتب التي ذكرها في كتابه كشف الظنون. ويعد حاجي خليفة القسم الثاني من الكتاب هو الأهم والأكبر من وجهة نظره؛ حيث صرح بأنه كان يشعر بالحاجة إليه فعلًا. وقد اتخذ حاجي خليفة كتاب تحرير اللباب للسيوطي أساسًا له في كتابة هذا الكتاب، وهو يتضمن كل أسماء المؤلفين– تراجم أحوال عنهم– المشهورين في الشرق. وقد أضاف حاجي خليفة الكثير إلى ما أورده السيوطي في كتابه المذكور، وفرّق بين ما أضافه هو إلى كتاب السيوطي وبين ما أضافه السيوطي إلى ابن الأثير، وبذلك تم الكتاب في ليلة القدر عام 1053هـ [2].

تزيد عدد المصادر التي أخذ منها عن المائة كتاب، كان يذكرها كلما تحين الفرصة، ومعظمها عن التراجم [3].

وقد تم الكتاب في أواخر ذي الحجة عام 1058هـ [4]، والنسخة الوحيدة المخطوطة منه على هيئة مسودة. وبتلك النسخة نجد في بعض الأماكن أسماء قد كُتبت، ولكن لا توجد لها معلومات، وتزيد تلك المسألة في نهايات الكتاب خاصة في حروف (ع– غ– ف – ق – ك)، ولوجود فيشات ملصقة بالنسخة لا تعود للمادة المذكورة في نفس

(1) Mesut Koman, irşad al –hiyara, Konya halkavi aylık Kültür dergisi, Mayıs 1945, sayı79, s. 20.

(2) Sullam al –vusul, 553 a.

(3) bak mesela 60b، 61a.

(4) bak s. 567 b.

الصفحة، يتضح لنا أن حاجي خليفة كان قد أعد تلك الفيشات عن تلك المواد مسبقًا. كما قام بتلخيص بعض المواد بنفسه في بعض الأحيان[1].

وهذه النقطة هامة؛ لأنها تعطينا فكرة عن أسلوب عمل حاجي خليفة، وكيف كان يؤلف الكتب. وبآخر الكتاب، خاتمة بها فوائد متفرقة، أورد فيها معلومات عن لطائف العلماء، والعلماء الذين اشتهروا بكثرة مؤلفاتهم[2]، ومن اشتهروا بالذكاء المفرط من الشباب والشيوخ. وقد قام مستقيم زاده بإكمال الكتاب حتى وقته – أي حتى عام 1175هـ[3]، على شكل إضافة أنساب وألقاب وملخص الأشخاص، الذين كتبهم في كتابه. والنسخة المخطوطة الوحيدة محفوظة بمكتبة شهيد علي باشا برقم 1877. كما توجد نسخة أخرى في المكتبة الخديوية في القاهرة، ولكنها نسخة ناقصة عبارة عن 222 ورقة فقط، تنتهي بمادة بخت النصر[4].

**10 – جهاننما:**

يستحوذ هذا الكتاب على أهمية كبرى؛ نظرًا لأنه فتح بداية عهد جديد في الفكر العثماني في الساحة الجغرافية، وهو نقطة تحول في تلك الساحة أيضًا؛ لأنه يمثل تحولًا من الفكر الشرقي إلى الفكر الغربي. وبالرغم من عدم وجود ولو نسخة واحدة أصلية مكتملة لهذا الكتاب، إلا أن طبعة إبراهيم متفرقة ترجمت عدة مرات إلى اللغات الأوروبية. وقد استفاد العديد من الرحالة الغربيين سواء من النسخة الأصلية المكتوبة باللغة التركية، أو من النسخ المترجمة في تحديد المواقع الجغرافية في رحلاتهم في آسيا الوسطى في النصف الأول من القرن التاسع عشر. كما وسّع الكتاب بدرجة كبيرة زاوية الفكر عند شريحة عريضة من المثقفين في تركيا، وساقهم إلى تأليف العديد من المؤلفات الجغرافية الأخرى.

---

(1) bak 137 a.

(2) Cevdat. Muallimler Mecmuası. sene 5. 1926. sayı43 - 44. s. 180.Bursalı. a.g.e.c.3 s. 128

(3) Macallat al - nişab. Halet Efendi kitabları. nr 628. 447 a.

(4) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الهلال 1931، ج3، ص 310.

وكان الكتاب بمثابة النجاة من ضيق الأفق الفكري الشرقي في العصور الوسطى، والانفتاح على الفكر الغربي المستنير في هذا المجال.

وقد قال حاجي خليفة– وهو يحدد فائدة علم الجغرافيا – بأنه يُمكّن الشخص وهو جالس في مكانه من التجول في الكرة الأرضية كلها في لحظة واحدة، وكأنه رحالة قضى عمره كله يجوب الأرض ويطالع الكتب الجغرافية. وأوضح حاجي خليفة بأنه قرأ كتب الجغرافيا، وكتب المسالك والممالك، ورسم الخرائط للعالم، ووجد أن المعلومات التي قرأها في الكتب المؤلفة باللغات الفارسية والعربية والتركية ليست كافية، ومختلطة. لذا؛ نوى أن يقوم بخلط كل تلك المعلومات التي قرأها ويؤلف منها كتاب في الجغرافيا باسم (جهاننما)، وقد بدأ المؤلف في الكتاب مرتين. ولم يترك الكتاب في المرتين كاملًا.

ويتكون الكتاب من قسمين، الأول: عن البحار والأنهار والجزر فقط، أما القسم الثاني: فيتناول اليابسة، وبها البلدان مرتبة تربيًا أبجديًّا، والبلدان التي اكتُشفت بعد القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[1]، وقد ذكر حاجي خليفة في مقدمة جهاننما[2] أو في مقدمة[3] الأطلس مينور، الذي ترجمه ونقله إلى جهاننما، أنه بعد أن ينهي المقدمة والقسم الأول سيتناول البلدان (على الجانب الآخر للأناضول من حد الروم)، وبعد أن يشرح – بشكل إجمالي – بلاد البندقية والفاتيكان وفرنسا، سيشرع في ذكر جزر البحار الغربية [4]؛ ولأنه لم يجد معلومات قط عن إنجلترا وهيبرانيا ونيوزلندا، فقد الأمل تمامًا في إتمامه للقسم الثاني من الكتاب. وبالتالي ترك الكتاب بأكمله.

ومن الواضح أن حاجي خليفة بدأ في تأليف نسخة جهاننما الأولى في عام 1058هـ (1648م)[5]. وكان من حظه أن قام جيرهارد ماركتور بإهدائه نسخة من كتاب الأطلس مينور، التي قام بترجمتها إلى اللغة التركية بمساعدة راهب فرنسي أعلن إسلامه وهو الشيخ محمد

(1) Kaşf al –zunun. c.1. s. 622. Adıvar. a.g.e. s. 121.

(2) Mll. nüshası. Topkapı sarayı. Revan nr 1624. 1b.

(3) ayn yer.

(4) Topkapı sarayı Kütp. Revan nr 1624. 160b.

(5) Mizan al –hakk. ist 1306. s. 143.

الإخلاصي[1]. وعندما أتم حاجي خليفة ترجمة ثلثي هذا الكتاب، بدأ في كتابة وتبييض النسخة الثانية من جهاننما، وذلك في أواسط شهر المحرم عام 1064هـ (مارس 1644م)[2].

وبخلاف الأطلس مينور والأطلس ماجور[3]، ترجم حاجي خليفة - أيضًا - كتاب Fabric Mundi لكالابريالي لورينز[4]، وغيرها من الكتب الأخرى التي استفاد منها حاجي خليفة في ذكر الأماكن، التي لم يتمكن من العثور عليها في المؤلفات الموجودة عنده[5].

كما يذكر حاجي خليفة - أيضًا - المؤلفات الشرقية بشكل نقدي، ومنها كتاب مناظر الأولين[6]، كما استفاد بطريق الترجمة من الرحلة المسماة عجائب اللطائف والكتب التي نقلت عنها[7]. أما معلوماته عن جاوا وسومطرة وسيلان والجزر الأخرى المجاورة، فقد نقلها من كتاب المحيط لسيدي على رئيس[8]. وبخلاف المصادر التي ذكرها حاجي خليفة في المقدمة، أورد - أيضًا - المصادر التاريخية التي استفاد منها كلما دعت الحاجة إلى ذكرها، وأحيانًا كان يصحح بعضها.

ومخطط كتاب جهاننما في النسختين الأولى والثانية مختلف في النسختين، كما أن المصادر بهما ليست مرتبطة ببعضها[9]. وقد توفي قبل أن يتم الكتاب. ولكنه كان قد وصل بالبلدان إلى الدولة العثمانية، وكانت إيالة وان هي آخر مكان يتناوله في الكتاب[10]. وقد طُبع الكتاب لأول مرة في 10 محرم 1145هـ على يد إبراهيم متفرقة، وكان ترتيب الكتاب في المطبعة الحادي عشر. وكان من الطبيعي أن يقوم متفرقة بطبع الكتاب في

(1) F. Taeschner, Zur geschichte des Cihannüma, MSOS, 1926, s. 102.

(2) Adnan Adıvar, a.g.e. s. 122.

(3) Müellif nüshası, ayn yerde.

(4) Ayn yer, 3b.Adıvar, a.g.e. s. 123.

(5) Cihannüma, ayn yer, 4a. Adıvar, a.g.e. s. 123.

(6) Babinger, Ein türkischer stiftungsberif des Nerkesi, MOG, c.1. Wien 1922, s. 151.

(7) Basma Cihannüma, 165.

(8) Adıvar, a.g.e. s. 71.

(9) Basma Cihannüma, 123.

(10) Müteferrika Basması 422.

مجلدين أحدهما عن آسيا، والآخر عن أوروبا بالإضافة إلى الأقسام، التي لم يتمكن حاجي خليفة من إكمالها [1].

على أي حال توجد مقالات متعددة كتبها F.Taeschner في هذا الموضوع لمن يريد الاستزادة بمعلومات مفصلة عن شكل النسختين ومحتوياتهما[2].

**11 – لوامع النور في ظلمة الأطلس مينور:**

وهو الكتاب الجغرافي الثاني المهم لحاجي خليفة. وهو ترجمة للأطلس مينور الذي ألفه ماركتور وهوندیوس. وقد ترجمه حاجي خليفة إلى اللغة التركية بمساعدة الشيخ محمد الإخلاصي [3]. بدأ حاجي خليفة في ترجمته في أواسط شهر المحرم عام 1064هـ، ولم يقم بعمل أي اختصارات أو إضافات سوى بعض الحواشي التي كان يضطر لشرح اسم أو موقع غامض بها [4]. وبالرغم من أنه قدم بعض الإيضاحات من خلال تلك الحواشي، إلا أن المعلومات الأساسية أو الأفكار التي قدمها المؤلف، إنما هي بمثابة الرفض أو النقد [5] ويُفهم من الاعتذار الذي صرح به حاجي خليفة في الكتاب عن الأسلوب، أنه لم يترجمه بقصد الترجمة، وإنما كان كمادة لكتابه جهاننما[6]، لذا؛ فإن أسلوبه لا يخلو من الألفاظ الركيكة والعبارات المضطربة. وأغلب الظن أنه قام بهذا الاعتذار باسم الشيخ محمد الإخلاصي الذي كان له الدور الأكبر في الترجمة؛ لعدم معرفته الجيدة باللغة التركية.

يبدأ الكتاب من منطقة القطب الشمالي ونيوزلندا. وهو على شكل جغرافي يتناول بلدان أوروبا وجبالها وأنهارها، كما توجد بعض المعلومات التاريخية، وشكل الإدارة في تلك البلاد. وبالنسبة للمعلومات الواردة في الكتاب عن آسيا وأفريقيا وأمريكا، نجدها غير مفصلة بنفس القدر الذي تناول به بلدان أوروبا [7].

(1) Tezyil al - tabi. s. 422.

(2) Die geographischen literature der osmanen. ZDMH. 1923. s. 31.

(3) Adıvar. a.g.e. s. 122.

(4) levami al - nur. Koprülü Mehmet Paşa. Fazil paşa ktp nr 178. 1b.

(5) Nurosmaniye Kütp. nr 2999. Müellif nushası. 316 b.

(6) isim için. Topkapı. Revan nr 1624. 2b.

(7) Nurosmaniye Kütp. nr 2998. Müellif nushası. 2a.

**12 – إلهام المقدس في الفيض الأقدس:**

وهي رسالة كتبها حاجي خليفة أثناء اشتغاله بعلم الهيئة[1]، فقد وجهت ثلاثة أسئلة فقهية إلى شيخ الإسلام بهائي أفندي، وهي عن تحديد أوقات الصلاة والصوم في البلدان التي يوجد بها فرق كبير بين أوقات الليل والنهار بسبب كروية الأرض، ولما لم يجب شيخ الإسلام عن تلك الأسئلة؛ كتب حاجي خليفة إجابات عنها في تلك الرسالة، وتلك الأسئلة هي:

- تحديد أوقات الصلاة والصوم في بلدان الجزء الشمالي من الأرض.
- إمكانية سطوع وغروب الشمس من مكان واحد في العالم كله.

إذا توجهنا إلى أي مكان، هل سيكون هناك مدينة أخرى غير مكة في جهة القبلة؟

وقد أجاب حاجي خليفة على السؤال الأول بما ذكره فقهاء الفقه الحنفي، أما السؤال الثاني، فقد أجاب عنه من كتاب سدرة المنتهى لتقي الدين أبي بكر محمد. أما السؤال الثالث فأجاب عنه من خلال تعريف الإمام خسرو للقبلة. ولكنه قبل أن يشرع في الإجابة على تلك الأسئلة ذكر بعض التعريفات البسيطة الخاصة بعلم الهيئة، وذلك حتى يسهل الأمر على قارئ الكتاب. وقد صحح في آخر الكتاب رأي شيخ الإسلام بهائي أفندي [2].

**13 – كشف الظنون عن الأسامي والفنون:**

كتبه حاجي خليفة في عشرين سنة، وهو قاموس ببلوجرافي كبير، أورد فيه أسماء كل الكتب التي قرأها بنفسه، أو التي رآها في المكتبات أو حوانيت الكتب، ورتبها ترتيبًا أبجديًّا، وقد أورد المؤلفات التي لها أسماء وذكر مكانها ومؤلفها وتاريخ تأليفها، والكتب المتعلقة بها، كما أخبر بشروحها وحواشيها، كما سجل في الكتاب الأماكن التي مرّ بها، والأماكن التي سيمر بها في المستقبل.

أما الكتب التي لم تكن تحمل أسماء فقد نسبها إلى مؤلفيها، أو إلى العلم الذي تنتسب إليه [3]، كما كان يوضح أبواب وفصول المؤلفات ويشير إلى مقدماتها، وقد تناول

(1) Cihannüma basması, lahika, s. 21.

(2) Nurosmaniye nr 4075. 1b. Cihannüma basması, 375. Mizan al –hakk 143.

(3) Kaşf –al zunun, c.1, sütun 2, fi ahval el ulum.

حاجي خليفة في مقدمة الكتاب أهمية العلم وتقسيماته، ونبذة تاريخية عن العلوم، وذكر أسماء كل العلوم، وعرّف بموضوعاتها.

وقد استفاد حاجي خليفة من كتاب مفتاح السعادة لطاش كوبرو زاده، وخاصة في مقدمة الكتاب، بالإضافة إلى أنه كان يذكر بوضوح المؤلفين الذين رجع إليهم مثل مؤلفي الطبقات وابن السبكي[1].

وثمة بعض الأخطاء النحوية والاصطلاحات الفنية التي يصعب فهمها في الكتاب، وكذا وجود بعض المؤلفات لم يذكر معلومات كاملة عنها، وهذه الأشياء بالطبع لا تقلل من قيمة الكتاب [2].

وقد ورد بالكتاب 14500 اسم كتاب ورسالة، 10000 منها ذُكر فيه اسم المؤلف، والشارح إن وُجد.

تم طبع الكتاب على يد فلوجل في الفترة من عام 1853 إلى عام 1858 على هيئة مجلدين، هما النص العربي والترجمة اللاتينية له، وكانت تلك هي الطبعة الأولى في ليبزيج، أما الطبعة الثانية فكانت في سبع مجلدات في لندن [3].

**14 – تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار:**

كتاب في المحاضرات، رُتب على الحروف الأبجدية، وهو كتاب موسوعي، سمير للخلوة على حد تعبير المؤلف. جُمعت مادة الكتاب من مصادر مختلفة باللغات الفارسية والعربية والتركية، وقد فكر حاجي خليفة بأن يجعله على شكل مرتب يتضمن كل معاني الفنون، وأن يكون على نسق كتاب الجماني. والكتاب يشتمل على الأشعار والأمثال ومعلومات عن المباحث المتنوعة، ومعلومات عن الحيوانات، والنبات، والطيور، واللطائف[4] ونكات أدبية، وفلسفية، ومعلومات عن إدارة الدولة وعن الأسرة. وقد رتبه على نفس الطرز التي رآها في كتب المعاجم، فكان يذكر الكلمة وما يندرج تحتها من

(1) Kaşf – al zunun. Flügel neşri. Mukaddima. 13.

(2) Kaşf – al zunun Şerefüddin Yaltkaya ve Muallim Klisli Rifat. Mukaddima 12.

(3) nşr Flügel. Mukadima 1 - 13. Babinger. der osmanen. a.g.e. s. 198.

(4) على سبيل المثال، انظر: مادة بكر وبكارة.

معلومات ونكات، من ذلك على سبيل المثال كلمة أوائل، أدرج تحتها كل الأوائل من الشعراء والشعر، والقضاة وغير ذلك، ولا يعتبر الكتاب مجرد تسلية لقضاء وقت جميل، وإنما هو كتاب هام لما يحويه من معلومات هامة في موضوعات مختلفة [1].

**15 – الدرر المنتشرة والغرر المنتشرة:**

هي مجموعة ألفها حاجي خليفة من المختارات التي انتقاها من المباحث والموضوعات المختلفة والنقاط المفيدة، أثناء قراءته لكتب الوفيات والطبقات التي استخدمها لتأليف كتاب ببلوجرافي. ولم يورد في مقدمة هذه المجموعة اسمًا خاصًّا لها، بل قال عنها الدرر المنتشرة والغرر المنتشرة والظواهر المختلفة وجواهر غير متألفة تشتمل على فوائد وافية. والمجموعة تشتمل على موضوعات مفيدة ومختلفة انتقاها من الكتب، مثل:

استقبال القبلة، وآداب الطعام، والافتقار والذل، والجنين في بطن المرأة، واليقين والطمأنينة، وشرط صحة الملوك، والصلاة في جوف الكعبة، وعقوق الأستاذ، والمسألة السراجية، وموضوع العبادة، والسر المكتوم، وعيادة المريض، وذم الشعر، وتعصب الذهبي، وفتنة الأشعرية والحنفية، وإنكار الكرامات، ومزج الخمر بالماء، والشطرنج، وبغداد، والجواب الظاهر، والخوف والرجاء، والقناعة، ولذة التقبيل، والإفطار، ورد القاضي لكتاب السلطان، والافتخار بالبخل.

وقد استخرج تلك المسائل من كتب بعض المؤلفين، أمثال: الغزالي، والحارث المحاسبي، والشافعي، والإصطخري، وأبو ثور، وابن جرير، وابن سريج، وأبو القاسم، والقشيري، وابن السبكي، والذهبي.

والمجموعة عبارة عن 243 ورقة، الورقة الواحدة بها 24 سطرًا، من الحجم المتوسط أبعادها 8.5 × 16 سم. وهذه المجموعة هي التي ذكرها حاجي خليفة في كتابه "ميزان الحق" بأنها مجموعة في نوادر الطبقات والتواريخ [2].

**16 – دستور العمل في إصلاح الخلل:**

في عام 1063هـ الموافق 1652 – 1653م عُقد الديواني الهمايوني لبحث سبل مواجهة الأزمة المالية، وعجز الميزانية في الدولة العثمانية، وذلك بسبب قلة الدخل وزيادة

(1) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج3، ص 317.

(2) Süleymaniye Kütp. Lale ismail Aga ktp nr 694.

obeikandl.com

المصروفات بشكل كبير، ومحاولة إيجاد حل لتلك الأزمة، وبحث مسألة جمع ضرائب السنة المقبلة مقدمًا، حتى يتم تدارك تلك الأزمة، وقد اشترك حاجي خليفة في هذا الديوان.

وبناءً على ما سمعه في الديوان، وعلى خبرته العريضة بصفته رجلًا قرأ التاريخ، وله خبرة في السفر والحضر، فقد ألف كتابًا صغيرًا في هذا الموضوع، كان يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة[1]. وقد سمَّاه دستور العمل لإصلاح الخلل، وكان أمله كبيرًا في أن يستفيد رجال الدولة من هذا الكتاب.

وفي مقدمة الكتاب، ذكر حاجي خليفة أن حياة المجتمع مثل حياة الإنسان تنقسم إلى فترات وعهود [2]، وأن لكل عهد علامات خاصة به، وأن الدولة العثمانية قد دخلت في طور التوقف، وذكر علامات ذلك، وأنه أصبح لازمًا عليه أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتدارك هذا الوضع، وأن العلاج ينقسم إلى قسمين روحاني وجسماني، ولكل مرحلة وعهد علاج خاص به، وفي الفصل الأول تناول حياة الرعية، وأن السلطان يدير المجتمع بواسطة رجال الدولة، وأن هذا المجتمع يتكون من أربعة أركان رئيسية، هي: العلماء، والجند، ورجال التيمار، والرعية. وأن الأربعة أركان المذكورة إنما تستفيد من بعضها البعض، كما تستفيد العناصر الأربعة الموجودة في جسم الإنسان من بعضها، ولو حدث هذا التفاهم والتعاون بين الأركان الأربعة لحدث تناغم وانتظام في المجتمع.

وقال إنه رأى كل القرى خربة أثناء حملاته التي استمرت 12 عامًا. وعدد أسباب ذلك وهي الضرائب الباهظة والرشوة والانحرافات التي تفشت في المجتمع. وأنه ما لم يتم تدارك ذلك؛ سيكون الظلم والثورة سببًا في خراب الدولة.

أما الفصل الثاني: فتحدث فيه عن الجند، وقال إن عدد الجنود في تزايد مستمر، وهو ما يعمل على زيادة مصاريفها، وبالتالي يجب خفض عدد الجند إلى النصف، والإجراءات التي يجب أن تتبع في ذلك.

أما الفصل الثالث، فخاص بالخزينة، وأوضح كيف زادت مصاريف الخزينة العامرة حتى عام 1060هـ الموافق 1650م. وفي الخاتمة، ذكر التدابير التي يجب اتخاذها

(1) Dustur. Nurosmaniye Kütp. nr 4075. 30 a – 35 b. Naima Tarihi c.1. s. 53.

(2) Arapça fezleke. 991.

لتفادي مثل تلك الأزمة، كما أشار في آخر الكتاب إلى أن هذا الضعف الذي بدا يظهر في الدولة، إنما يعود بجذوره إلى حادثة تيمورلنك [1].

**17 – رجم الرجيم بالسين والجيم:**

وهو كتاب يتضمن بعض المسائل الفقهية الغريبة، التي أصدرها شيخ الإسلام في عام 1064 – 1065هـ. ومن الواضح أن هذا الكتاب غير موجود اليوم[2].

**18 – شرح تفسير البيضاوي:**

قرأ حاجي خليفة تفسير البيضاوي على معلمه مصطفى أفندي الأعرج [3]، وبدأ في كتابة شرح له على نسق قره كمال في عام 1052هـ/ 1642م، وكان يكتب كل يوم صفحة[4].

ولأنه لم يورد أي معلومات أخرى عن هذا الكتاب، فإما أن يكون الكتاب قد كُتب وفُقد، أو يكون حاجي خليفة قد توقف عن كتابته بعد البدء فيه.

**19 – شرح المحمدية:**

كتب حاجي خليفة هذا الشرح لكتاب المحمدية لعلي قوشجي بناءً على طلب تلميذه مولانا محمود ابن العالم أحمد الرومي الآق حصارلي. وقد كانت ثمة علاقات مودة وألفة بين حاجي خليفة وبين تلميذه هذا، وكان الشرح يتناول الجبر والمقابلة، ولوفاة هذا التلميذ عام 1058هـ؛ ترك حاجي خليفة هذا الشرح، ولم يبيضه[5]، ومن الواضح أن النسخة المخطوطة منه قد فُقدت أيضًا.

**20 – جامع المتون من جل الفنون:**

ذكر بابنجر خطأ أن هذا الكتاب يحتوي على كليات وفنون أدبية وتاريخية مجموعة على شكل الاقتباس من 300 مجموعة [6]، إلا أنها عبارة عن مجموعة ألفها حاجي خليفة

(1) Bursalı Mehmet Tahir, Osmanlı Müellifleri, c.3, s. 129. Almanca tercümesi için bak babinger, ayn yer.

(2) Mizan al –hakk, 144.Şeyhi, Vakai al vuzala Veliyyüdin Efendi Kütp nr 2361, c.1 s. 131.

(3) Mizan al –hakk, 135.

(4) ayn eser, s. 136.

(5) Sullem al –vusul, 42 a.Mizan al - hakk 139.Adıvar a.g.e. s. 128.

(6) Babinger, der osmanen, a.g.e. s. 201.

من خلاصة وشروح 27 كتابًا قرأها أو درّسها [1]. ثم أضاف لها بعد ذلك (مقدمات نافعة) على حد تعبيره لتكون تذييلًا أو تتمة للكتاب. وتلك المقدمات، هي: مقدمة في علم التفسير من إتمام الدراية، تعليم المتعلم، بداية الهداية في التذاكر، مقامات الحريري في الأدب، جهينة الأخبار في التواريخ [2].

والأقسام الأولى من الكتاب بخط يد حاجي خليفة، أما بقية أقسام الكتاب فهي بخط يد قرنبادي مصطفى أفندي المعروف بالطالب. والنسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب محفوظة بمكتبة طوب قابي سراي بقسم خزينة الأمانات برقم 1763، وهي نسخة من 666 ورقة [3].

**21 – ميزان الحق في اختيار الأحق [4]:**

آخر عمل لحاجي خليفة، ألف في شهر صفر عام 1067هـ، والكتاب يتناول الموضوعات، التي كانت مثار الجدل والنقاش في عهده، ويقول حاجي خليفة عن هذا الكتاب "لقد ألفت هذا المختصر لإرشاد الناس إلى الاعتدال" [5]. يبدأ الكتاب بمقدمة عن أهمية العلوم العقلية، ثم يتناول بعد ذلك مباحث مختلفة. ويدافع حاجي خليفة في الكتاب عن العلوم العقلية، ويضرب أمثالًا من علوم الجغرافيا والهندسة والفلك [6].

كما أوضح أن الناس منذ بدء الخليقة منقسمون إلى مذاهب وفرق، وكل فرقة متعصبة لرأيها، ومقتنعة بأنها الصواب.

---

(1) Süleymaniye Kütp. Lale ismail aga ktp nr 694.

(2) -. bak 5 a.

(3) Bursalı Mehmet Tahir. Katip çelebi. s. 129

(4) Süleymaniye Kütp. Beşir aga nr 554. vr 2a.

(5) Mizan al - hakk. s. 133.

(6) Adıvar. a.g.e. s. 119.

obeikandl.com

**أما المباحث التي يتناولها الكتاب فهي:**

1 – المبحث الأول تناول فيه حياة الخضر، وشرح ماهية الحياة وأنها تقوم على المادة، وأنه يمكن للواصلين أن يروا بعض الأموات بطريق الرياضة. وأوضح أن تفسير حياة الخضر على هذا الشكل تفسير صحيح.

2 – مبحث التغني.

3 – مبحث الرقص والدوران.

4 – التصلية والترضية.

5 – التبغ.

6 – القهوة.

7 – الأفيون وسائر المكيفات.

8 – مسألة إيمان أو كفر والدي الرسول.

9 – إيمان فرعون.

10 – الاختلافات الواقعة بخصوص الشيخ محيي الدين بن عربي.

11 – لعن يزيد.

12 – البدعة.

13 – زيارة القبور.

14 – صلاة القدر والبراءة والرغائب.

15 – المصافحة.

16 – الانحناء.

17 – الأمر بالمعروف.

18 – الأمة وتعني هل يجوز لشخص من أمة محمد أن يقول أنا على ملة إبراهيم.

19 – الرشوة.

20 – مبحث في أبي السعود أفندي ومحمد أفندي البركلي.

21 – مبحث في قاضي زاده والسيواسي.

وقد اختار حاجي خليفة في تناوله لكل تلك المباحث طريق الوسطية والتسامح، وعدم إيقاع الناس في العنت، وأنه من غير الصواب التعصب في تلك الأمور. ومن

obeikandl.com

ذلك على سبيل المثال، عند تناوله لمسألة السلام، رأى أن يكون الأحرى فيها دائمًا تتبع العرف والعادات؛ لأنه من الحماقة الانشغال بصرف الناس عما اعتادوا عليه.

أما في خاتمة الكتاب، فقد تحدث حاجي خليفة عن نفسه من قبيل الحديث بالنعمة، ورؤيته للنبي - ﷺ - في المنام، وإرشاد الرسول له، ثم تأتي بعد ذلك الوصايا، وهي وصايا للحكام والطلاب والواعظين [1].

وقد نشرها شناصي متفرقة في جريدة تصوير الأفكار، ثم طبعت بعد ذلك ثلاث مرات، الأولى: عام 1281هـ[2] والثانية: 1286هـ[3]، والثالثة: 1306هـ[4].

وقد علِمنا أن لحاجي خليفة - أيضًا - رسالة في التبغ، وكتاب آخر باسم تكملة ابن خلدون، وبالرغم من أن هذا العمل الأخير يوجد في الفهرس، إلا أن ما فهمناه من قيد حاجي خليفة أنه مسح هذا العمل، وأضافه بعد ذلك.

(1) Fetvanın aslı Miza al - hakk. Süleymaniye Kütp. Bagdadlı Vehbi Efendi ktp nr 1747/ 760. vr 1a.

(2) 23 Ramazan 1280. sayı 175.

(3) Babinger. der osmanen. s.

(4) mortmann. islam Ansiklopedisi. Katip çelebi maddesi.

obeikandl.com